جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية

المذابح في مصر في العصرين البطلمي والروماني

"دراسة مقارنة بالمذابح عند الإغريق والرومان"

The Altars in Egypt in The Ptolemic – Roman Period

"A Comparative Study with the Greek and Roman Altars"

بحث مقدم من

وسام ناجي دويدار

للحصول على درجة الماجستير

إشراف

أ.د عزيزة سعيد
استاذ الآثار اليونانية الرومانية
كلية الآداب- جامعة الإسكندرية

د ضحي عرفه
مدرس آثار يوناني روماني
كلية آداب- جامعة الإسكندرية

خطة البحث

- المقدمة.
- الباب الأول: نشأة المذبح وتطوره في مصر القديمة والعالم اليوناني و الروماني.
  - التمهيد.
  - الفصل الأول: نشأة المذبح وتطوره في مصر القديمة.
  - الفصل الثاني: نشأة المذبح وتطوره في العالم اليوناني حتي العصر الهلينستي.
  - الفصل الثالث: نشأة المذبح وتطوره في العالم الروماني حتي نهاية القرن الأول ق.م (تحول مصر إلي ولاية رومانية).
- الباب الثاني: أنواع المذابح واستخداماتها في مصر في العصرالبطلمي مع المقارنة بالعالم الهلينستي.
  - الفصل الأول: المذابح في العالم الهلينستي.
  - الفصل الثاني: المذابح في مصر البطلمية. "دراسة تحليله مقارنة بالمذابح في العالم اليوناني".
- الباب الثالث : المذابح في مصر في العصر الروماني. "مع المقارنة بالمذابح في العالم الروماني".
  - الفصل الأول : المذابح في العالم الروماني.
  - الفصل الثانى: المذابح في مصر في العصر الروماني.
- الخاتمة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	4
• **الباب الأول**: نشأة المذبح وتطوره في مصر القديمة والعالم اليوناني و الروماني.	8
تمهيد.....	9
○ **الفصل الأول**: نشأة المذبح وتطوره في مصر القديمة.	19
○ **الفصل الثاني**: نشأة المذبح وتطوره في العالم اليوناني حتي العصر الهلينستي.	32
○ **الفصل الثالث** نشأة المذبح وتطوره في العالم الروماني حتي نهاية القرن الأول ق.م (تحول مصر إلي ولاية رومانية).	80
• **الباب الثانى** .. : أنواع المذابح واستخداماتها في مصر في العصرالبطلمي مع المقارنة بالعالم الهلينستي.	102
مقدمة.....	103
○ **الفصل الاول** : المذابح في العالم الهلينستي.	107
○ **الفصل الثانى** : المذابح في مصر البطلمية. "دراسة تحليله مقارنة بالمذابح في العالم اليوناني".	146
• **الباب الثالث**: المذابح في مصر في العصر الروماني. "مع المقارنة بالمذابح في العالم الروماني".	192
○ **الفصل الأول**: المذابح في العالم الروماني.	193

- **الفصل الثانى** المذابح في مصر في العصر الروماني. 233

الخاتمة..... 259

المراجع..... 263

المقدمة

منذ ما يقرب من 2000 سنة ، قال بلوتارخوس المؤرخ الإغريقي الشهير إنك يمكن أن تعثر على مدن بلا أسوار ولا مسارح ولا آداب ، ولكن أحداً لا يرى قط مدينة بلا معبد.. هذه العبارة القديمة تسجل أن الشعور الديني أمر ينبع من الفطرة أو يعود إليها في الجزء الداخلي من روح الإنسان.

لقد إنشغل فكر الإنسان القديم في تفسير مظاهر القوى المحيطة به والتي تمنحه العطايا أحياناً وأحياناً أخرى تتحكم فيه وتخيفه، وتوصل الإنسان من ذلك إلى وجود قوى عظمى تسيطر عليه وعلى البيئة المحيطة به تشكلت على هيئة آلهة سعى الإنسان للتقرب منها عن طريق تقديم الهدايا لكي يتجنب شرها أحياناً ويستقطب خيرها أحياناً أخرى، وكانت هذه الهدية في شكل قربان يدعم الإنسان في شتى جوانب حياته سواء في العمل أو التجارة أو النشاط الزراعي وفي الزواج والولاده وكل ما يتصل بحياة الإنسان ،وليس فقط هذا بل أيضاً بمماته حيث كانت تقدم القرابين للمتوفي عند القبور. كانت القرابين تقدم على المذابح ، ومما يدل على ارتباط الشعوب بفكرة القربان في مختلف نواحي النشاط البشري وجود المذابح أيضاً في المسارح وأماكن الترفيه مثلما كانت في المسارح اليونانية ، والتي كانت تحتوي على مذابح للإله ديونيسوس ، وكانت هذه المذابح تقام وسط الأوركسترا وتقدم عليها القرابين في بداية أي حفل مسرحي.

نشأت إذن المذابح نتيجة للمعتقدات الدينية في العالم القديم وتعددت أنواعها لتعدد الآلهة حيث عمل الإنسان على إرضاء آلهته وتجنب شرهم ، فكان يلجأ لتقديم القرابين إليهم ، ولذلك كان المذبح هو المحور الأساسي والرئيسي الذي تدور حوله العقيدة ويقصد من ذلك عملية تقديم القرابين التي كانت أهم طقس من طقوس العبادة القديمة.

الأهمية القصوى التي شكلتها مكانة المذابح وما يرتبط بها من قرابين كانت السبب الرئيسي في الإرتباط بهذا الموضوع ومحاولة معرفة المزيد عن خصائصه لما يحتويه من فكر عقائدي لدى الشعوب ، والذي شكل الوجدان الرئيسي للإنسان عبر عصوره المتتالية ، وإذا كان الفكر العقائدي يتضمن نواحي كثيرة مثل الدور الذي تلعبه الآلهة لدى الشعوب القديمة وما يرتبط بهذه الآلهة من خصائص وأماكن تقام لها ، فإن المذبح يظل هو العامل الرئيسي الفعال في الوسيلة لمخاطبة تلك الآلهة لدى الشعوب القديمة وفي مختلف العصور التي ساد فيها الفكر الوثني قبل ظهور الأديان السماوية.

لم تكن أهمية المذبح في الفكر الديني لدى الشعوب القديمة هو العامل الوحيد للإهتمام بدراسة هذا الموضوع ، ولكن لأن الكثير من تلك المذابح اندثر مع الزمن وضاعت ملامحه إلا

في القليل الذي يتطلب جهداً في التوصل إليه ودراسته . بالإضافة إلى أن الشعوب القديمة وأقصد بها مصر القديمة وبلاد الإغريق والرومان كانت تختلف فيما بينها في جوهر معتقداتها الدينية، وبالتالي كان بديهياً اختلاف وسائل تقربها من تلك الآلهة وأقصد بها المذابح التي تقدم عليها القرابين لإسترضاء هذه الآلهة.

تتكاثف الصعوبات في دراسة المذابح وما يقدم عليها من قرابين للظروف التاريخية التي مرت بها الشعوب المختلفة وأقصد هنا بالذات أن مصر في العصر الفرعوني بكل مقوماتها الحضارية وما تضمن ته من معتقدات دينية و أساليب لاسترضاء تلك الآلهة ، و بعد انتهاء العصور الفرعونية احتلها الإغريق الذين توافدوا إليها بمور وثهم الحضاري ومنه الدين وما يرتبط بهذا الموضوع المشار إليه سابقاً – أي المذابح – ،ثم مجئ الإحتلال الروماني لمصر لكي تتضافر المكونات الثقافية الحضارية في تشكيل المظهر الجديد للمضمون العقائدي في مصر إبان عصورها المختلفة.

لم تقتصر أهمية دراسة المذابح وخاصة في مصر في العصرين البطلمي والروماني على الندرة وعلى التنوع في الميراث العقائدي للحضارات المختلفة ، ولكن أيضاً لقلة الدراسات العلمية التي كرست لدراسة هذا الموضوع؛ ففي العادة توجه اهتمام العلماء لدراسة المعالم الكبرى لهذه الحضارة أو تلك مثل العمارة والنحت والتصوير ولم تحظ دراسة المذابح بإهتمام هؤلاء العلماء رغم أنها جزء هام من هذه العمارة ولكن توجه إهتمامهم لدراسة المعالم الكبرى مثل المعابد والساحات المقدسة، لذلك شكلت الندرة فيما تبقى من مذابح والتعدد في الميراث الحضاري والندرة في الدراسات العلمية التي وجهت لهذا الموضوع ، كل هذه العوامل مجتمعه ساهمت في الرغبة في التصدي لدراسة المذابح لمصر في العصرين البطلمي والروماني – مجال التخصص –و لعل هذه الدراسة تسهم ولو بشكل بسيط في إلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع الحيوي الذي يرتبط بمعتقدات الشعوب عبر عصورها القديمة.

إن دراسة المذابح في مصر في العصرين البطلمي والروماني يعني وجود تعدد في الميراث الحضاري ما بين المصري القديم والعالم اليوناني الذي جاء منه الإغريق لاحتلال مصر والعالم الروماني الذي جاء منه الرومان لتشكيل الحقبة الأخيرة من التاريخ القديم لمصر ، ولذلك كان لابد من دراسة مختلف هذه الجوانب الحضارية ما قبل الحقبة الزمنية المخصصة لدراسة هذا الموضوع أي المذابح في مصر في العصرين البطلمي والروماني ، كما كان لابد من دراسة كل من العالم اليوناني في العصر الهلينستي والعالم الروماني في العصر الإمبراطوري وهما العالمان المعاصران لمصر في العصر البطلمي أولاً ثم الروماني ، ولذلك تطلب هذا بشكل خاص دراسة الميراث الحضاري لمصر في العصر الفرعوني ودراسة هذا الميراث في العالم

الإغريقي والروماني في الفترة السابقة لإحتلال الإغريق ثم الرومان لمصر ،كما يتطلب أيضاً دراسة مقومات هذه المذابح في العالم الهلنستي معاصراً لمصر في العصر البطلمي والإمبراطورية الرومانية في الفترة المعاصرة لمصر في العصر الروماني.

ولذلك كان لابد من تقسيم الدراسة إلى دراسة عن المذابح بوجه عام ومذابح مصر بوجه خاص وتتكون من ثلاثة أبواب بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة.

يشتمل الباب الأول : نشأة المذبح وتطورة في مصر القديمة والعالم اليوناني. على : تمهيد ثم الفصل الأول : نشأة المذبح وتطوره في مصر القديمة.

الفصل الثاني : نشأة المذبح وتطوره في العالم اليوناني حتى العصر الهلينستي.

الفصل الثاالث : نشأة المذبح وتطوره في العالم الروماني حتى نهاية القرن الأول ق.م. (عند دخول مصر تحت السيطرة الرومانية ، أي تحول مصر إلى ولاية رومانية).

بينما الباب الثاني : أنواع المذابح واستخداماتها في مصر في العصرالبطلم ي مع المقارنة بالعالم الهلينستي.

ويشتمل على :

الفصل الأول : المذابح في العالم الهلنستي .

الفصل الثاني : المذابح في مصر في العصر البطلمي.

الباب الثالث : المذابح في مصر فى العصر الروماني مع المقارنة بالمذابح في العالم الروماني.

الفصل الاول:المذابح فى العالم الروماني.

الفصل الثانى:المذابح فى مصر فى العصر الرومانى.

وتتخلل الفصول دراسة تحليلية مقارنة لمذابح مصر في العصرين بالمذابح في العالمين اليوناني والروماني.

الخاتمة : وتسجل بها نتائج الدراسات التي تمت في الفصول السابقة.

نظرا لاهمية الموضوع فقد حاولت بذل كل طاقتى لدراسة هذا الموضوع بالرغم من الصعوبات التى واجهتنى والتى تمثلت في ندرة المراجع التي تتناول هذا الموضوع نظراً لأن المذابح كان يشار إليها إشارة عابرة ضمن الأثر الذي يضمها ، وكذلك ندرة في المصادر التي

أشارت بشكل مباشر لهذه المذابح اللهم إلا في القليل النادر عندما أشارت هذه المصادر إلى المذابح الضخمة التي أنشئت آنذاك.

بالرغم من ندرة هذه المراجع وهذه المصادر فإن ما أتيح لي من دراسته أدين فيه بالفضل للقائمين عليه وأتوجه بشكري الجزيل لإدارة المتحف اليوناني الروماني الذي يسر لي الرجوع إلى السجلات وأيضاً إلى الدراسة المباشرة على ما توافر من مذابح، كما أتوجه بالشكر للقائمين على المكتبات العامة والخاصة وأخص بالشكر مكتبة المتحف ومكتبة دكتور امبرير ومكتبة الإسكندرية بالإضافة إلى المراكز الثقافية في الإسكندرية والقاهرة ، كما أتوجه بالشكر إلى أستاذتي الدكتورة عزيزة سعيد محمود التي أشرفت على الدراسة وأدين لها بالمجهود الضخم الذي بذلته معي ، وأتوجه بالشكر كذلك إلى لجنة المناقشة ، وأتوجه بالشكر أيضاً لوالدي العظيم ووالدتي العظيمة لما قاما به معي وما تحملاه من أجلي.

الباب الأول

نشأة المذبح وتطوره فى مصر القديمة والعالم اليونانى والرومانى

تمهيد:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فهو مخلوق لكي يعيش في مجتمع، ومن ثم فالمجتمع جزء من جوهر الإنسان، ذلك لأنه بالحياة الاجتماعية وحدها يستطيع الإنسان أن يحقق كماله وذلك من خلال تعاونه مع غيره.

هذا الإنسان المخلوق من نفحة الروح الإلهية التي ظللت وجدانه بالروحانية، مما أخضع الإنسان دوما لمشاعر دينية لعبت الدور الأساسي في حياة الإنسان منذ وجد على الأرض.

من هنا فليس من المتصور أن يحيا الإنسان بلا ديانة، كما لا يمكن تصور مجتمع بلا سلطة دينية تتحقق بها قدراته علي الاستمرار في سلام، فلا يعرف في تاريخ الإنسانية إنساناً عاش منعزلا، كما لا تعرف جماعة عاشت بلا سلطة دينية. معني ذلك أن ترتبط الديانة بالطبع الإنساني مما يجعل الجوهرفي الإنسان استعداد هذا الإنسان بطبعه للطاعة ورغبته بفطرته في السيطرة، فلقد ثبت بالتحليل العلمي أنه ما من إنسان إلا ولديه بطبعه درجة من الاستعداد للطاعة ودرجة من الرغبة في السيطرة علي الآخرين(١).

المعتقدات الدينية التي شكلت وجدان الأفراد والجماعات تطلبت شخصيات بعينها تملك من المقومات ما يسمح لها في هذا الإطار الديني بالقيام بممارسة الطقوس الدينية المرتبطة بتلك المعتقدات و بهيها يتحكم الفرد القائم علي الديانة في الأفراد الآخرين ، ومن جهة أخري يتعايش مع الطبيعة وظواهرها عن طريق التفسير الديني. نظراً لكون ظاهرة الطابع الديني تأتي تعبيراً عن جوهر الديانة في الإنسان ومن ثم عن الطبع الإنساني، فإنها لابد وأن تكون خالدة بخلود المجتمعات الإنسانية، فهي تصاحب قيامها، وتظل من مقوماتها، ولا يتصور اختفاؤها إلا بإختفاء المجتمعات الإنسانية، وتبعا لذلك فليس من إنسان يستطيع أن يحيا بدون نزعة دينية بدأت بسيطة مع بداية الخليقة ، وتطورت بتطور الإنسان والحياة ونشأة المجتمعات والمدنيات.

أحاطت الطبيعة الإنسان الأول بكل مظاهرها الموجودة في الأرض أو في السماء فشعر الإنسان بمدي تضاؤله وخوفه من تلك الظواهر الطبيعية التي كانت تهز وجدانه سواء كانت هذه الظواهر ممثلة في تقلبات جوية أو في حيوانات تحيط ببيئته، وفي هذا الوسط المشحون بقوي هائلة مقارنة بقوة الإنسان الفرد، وللمشاعر الروحانية التي أودعها الله في خلقه يتيقن الإنسان من وجود قوي مسيطرة علي هذا الكون الذي يعيش في وسطه ، إلا أن تفكيره البدائي لم يمكنه من معرفة كنه هذه القوي الجبارة فبدأ يتخذ لها رموزا يتوسل من خلالها لدرء الخطر أو لجلب

---

(١) أرجع إلي:

-Freund, J., L'Essence du politique, Sirey, Paris, 1955, p. 13.

الخير. ظهرت من هنا الرمزية في العبادات الدينية الأولي أو ما يطلق عليها الطوطمية. نظرا لأن المظاهر الطبيعية اختلفت من مكان إلي آخر لذلك اختلفت الرموز من جماعة إلي أخري مما تبلور عنه ظهور رموز طوطمية مرتبطة بجماعة بعينها تختلف عن رموز أخري. هذه الرموز أو الطوطمية غير محدودة تاريخيا علي وجه اليقين نظرا لأن هذه المعتقدات الدينية ظهرت وتبلورت قبل العصور التاريخية وبالتالي فليس هناك من وثائق تاريخية تشير لنا عن بداية تكون المعتقدات الدينية والطقوس المرتبطة بها والممارسات التي تجريها تلك المجتمعات الإنسانية.

كما نعلم أن استقرار جماعة بشرية ما بمنطقة معينة أو بإقليم معين يربطها بالضرورة بموارد مادية معينة بما يستدعي – من جانب الجماعة– تنظيما لا من أجل حاجة الحاضر فحسب، وإنما كذلك من أجل حاجة الغد، وهذا التنظيم القائم علي التبصر والفطرة، يخلق لدي اعضاء الجماعة شعورا بالتعاون من أجل أشباع الحاجات الجماعية والفردية معا، مما يؤدي إلي المزيد من الوعي بالحياة الاجتماعية وبفكرة المصلحة العليا للجماعة، ومن هذا المنطلق أدخل إنسان ما قبل التاريخ الرموز السحرية التي صورها علي جدران الكهوف والتي كان يستجلب قواها عن طريق الرقصات الجماعية أو القرابين التي كان يتم تقديمها في الاحتفالات لتلك الآلهة الممثلة للشر أو للخير التي ترمز إليها تلك الطواطم.

تعدد الطواطم وما ارتبط بها من احتفالات وقرابين ارتبط معها نشأة السلطة الدينية لأهميتها في التنسيق والتنظيم.هذه السلطة الدينية هي تلك السلطة التي ينقاد لها شتي أفراد الجماعة والنابعة من تقاليد الجماعة. إن تقاليد الجماعة وعاداتها مرعية دون ما حاجة إلي فرد يفرض مراعاتها بأدوات الأكراه المادي المألوفة في المجتمعات المتحضرة، فلا إكراه ولا جزاء إلا الخوف من لعنة الجماعة. صورة السلطة الجماعية المباشرة شائعة في الجماعات البدائية حيث تتحكم بالفرد تقاليد وعادات بصرامة مطلقة في كل جوانب حياته، إذ أنه لا يستطيع حراكا أو حتي تفكيرا فيما لا تقره تلك التقاليد والعقائد، وإلا فإنه يعرض نفسه لنبذ الجماعة بل والطبيعة بأسرها، وهو نبذ لا يعني عند البدائي ما يعنيه الأعدام عند الرجل المتحضر أنه يعني –عند البدائي– لعنة السلف أو لعنة الآلهة إنها اللعنة التي تأتيه من هؤلاء جميعا وتلاحقه فإذا به طريد الجماعة والطبيعة معا. إنه الإعدام الذي لا حاجة فيه إلي قاضٍ أو مقصلة أنها لعنة الطوطم(٢).

---

(٢) -Lapierre, J.W., Le Pauvoire politique, Paris, 1953, p. 10.

وأيضا: محمد طه بدوي وآخرون، مدخل العلوم السياسية، إسكندرية، 2002م.

حياة إنسان العصر الحجري القديم Paleolithic كانت صراعا طويلا مع الطبيعة القاسية التي كان عليه أن يحيا عليها ويعيش، في ذات الوقت يقي نفسه منها وضدها [٣]. فقد كان الإنسان الأول يحاول اتقاء شرور الطبيعة وشراسة الحيوانات التي يراها عن طريق الرسم علي جدران الكهوف (صورة 1، 2، 3) ، كما تطورت الفكرة في العصور الحجرية الأولي والوسطي للأشياء التي لا يجدون لها تفسيراً بإعطاء رمز تبلورعنه فكرة الطوطم ؛ حيث كان الإنسان في بادئ الأمر لا يستطيع تفسير الظواهر إلا المادية التي يتعامل معها ، ولكنه لا يستطيع الوصول إلي تفسيرات الظواهر الخفية التي تحدث أمامه ولا يستطيع معرفة أسبابها. من هنا جاءت فكرة الطوطم لمحاولة التقرب أو إتقاء شرور المجهول لديه.

كان الإنسان الأول يقوم بعمل العديد من الاحتفالات الخاصة والتي كانت غالبا ما تعقد في أغوار الكهوف، حيث كانوا يؤدون رقصاتهم المتوحشة ويباشرون طقوسا دينية غامضة ، وقد اكتشفت بقايا مثل هذه الاحتفالات سنة 1992، وذلك داخل كهوف مونتسبان بفرنسا، حيث كانت جدرانها المنحوتة منقوشة ومحفورة بصور الحيوان.. بينما ظلت بصمات أقدام الراقصين مطبوعة علي وسط الأرضية.. وعديد من تماثيل الطين تمثل أشكالاً مختلفة لدببة وأسود وخيول وكلها كانت مطعونة بالحراب، إذ عثروا علي ثقوب الرماح، وكان واضحا أن عمليات السحر التمثيلي والرمزي كانت تجري وتقام من حولها إذ كان الصيادون منهم يأملون وهم يصوبون رماحهم إليها وكأنهم يقتلونها حتى يطمئنوا إلى أن النجاح الحقيقي سيحالفهم أثناء صيدهم حيوانات حقيقة[٤] (صورة 4).

إن رجال العصر الحجري الذي رسموا ولونوا هذه النقوش كانوا صيادين، يصرعون الحيوانات المتوحشة من أجل لقمة العيش لأن الطعام كان المقوم الأول لحياتهم ، فإذا لم يحالف صيدهم التوفيق، كانوا عليهم أن يدخلوا الكهوف ليجروا صيدهم المزيف، وبرسمهم الحيوانات علي حائط الكهف، كانوا يعتقدون أنهم ملكوا قوة تأسر الوحوش المنقوشة.

كان أهم شئ في الرسوم أن تكون واضحة وتحاكي الواقع وغالبا ما نري رسوما قد نقشت فوق رسوم مسبقة، ويبدو هذا واضحا من صورة الخيول المرسومة فوق الثور في كهف لاسكو بجنوب فرنسا (صورة 5).

هكذا واجه الإنسان الأول تحديات عصره وبدأت بدايات الحضارات نتيجة لتفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة به أي مع الطبيعة.

---

(٣) أرجع إلي: موسوعة كتاب المعرفة، مدن ومدنيات، تاريخ الحضارة، جنيف، 1989، ص 11.

(٤) أرجع إلي: موسوعة المعرفة، الشعوب والسكان، تاريخ الحضارة، جنيف، 1988، ص 11.

لم يقتصر فكر الإنسان القديم علي الرغبة في تحقيق الصيد، وإنما شغل فكره الرغبة في محاولة درء الشرور من المجهول أو القوي الخفية أو الحيوانات المفترسة مما أدي لتوصله لفكرة القرابين وتقديمها، ومن هنا جاءت أيضا الفكرة الأولي للمذبح حيث بحث عن مكان مرتفع لتقديم القرابين والتي اختلفت أنواعها حيث كان يقدم المأكولات والمشروبات لاعتقاده أن الآلهة علي شاكلته، وأما الذبائح حيث اعتقاده بأن ، الأبخرة التي تتصاعد تصل للآلهة ومنها حرق البخور والعطور أو في بعض أجزاء الذبيحة.

نجد أن الديانات في ممالك الشرق القديم كلها كانت تعرف فكرة تقديم القرابين والنذور محاولة منهم للتقرب للآلهة وانتقلت نفس هذه المعتقدات مع الهجرات إلي حضارة أوروبا ومنها الحضارة اليونانية ، أما عن مصر فكما يقول هيرودوت أن المصريين أكثر الناس تدينا والحقيقة أن الدين تحكم في جميع أنشطتهم(٥).

تتماثل عصور ما قبل التاريخ في مصر مع غيرها من الحضارات الأخري فهي تنقسم إلي ثلاث مراحل:

العصر الحجري القديم Paleolithic، العصر الحجري الوسيط Mesolithic، ثم العصر الحجري الحديث Neolithic.

العصر الحجري القديم يرمز لأطول وأقسي مرحلة حضارية عرفها الإنسان، فقد كان عليه منذ البداية أن يستخدم عقله ليقاوم ضراوة الحيوانات الكاسرة التي كانت غالبا ما تشاركه البيئة نفسها، بل وتنافسه في الصيد، وكان الشعور الغريزي بالخوف من المجهول أكبر الأثر في دفع إنسان هذا العصر إلي التفكير في المعتقدات المختلفة التي أصطلح علي تسمياتها بالمعتقدات الدينية. وانتقل هذا الإنسان من الصيد إلي الرعي ومنها إلي الزراعة التي علمته الاستقرار وتكوين الأسرة فالجماعة فالقبيلة (٦). وقد ترك الإنسان الأول رسوم بدائية تتصل بالتصورات الدينية وتخيلات السحر القديم(٧).

إن الاستقرار في العصر الحجري الحديث – أي العصر النيوليثي – وظهور المجتمع القروي أدي إلي نشأة نوع جديد من تفكير الإنسان وسلوكه في مختلف مظاهر حياته. تتميز مصر في العصر النيوليثي بظهور حضارة مرمدة بني سلامة في جنوب غرب الدلتا، وحضارة

---

(٥) جورج بوزنر وأخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، القاهرة، 1996، ص 163.

(٦) سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدني القديم ، مصر والعراق، القاهرة، 1987.

(٧) عبد العزيز صالح، الشرق الأدني القديم، الجزء الأول، مصر القديمة، القاهرة، 1990.

الفيوم في مدخل مصر الوسطي، ثم حضارة ديرتاسا في أسيوط، وأهم ما يميز تلك الفترة توصل تفكير الإنسان لبعض الطقوس الدينية والجنائزية التي ظهرت في هذه العصور المبكرة.

فنجد أهل مرمدة بني سلامة يدفنون موتاهم بين مساكنهم – أي بين منازل الأحياء – ويدفنوهم علي الجانب الأيمن حيث تتجه وجههم ناحية الشرق وناحية بيوتهم، دون أن يزودوا بقربان خاص فيما عدا حفنة من الحبوب توضع قرب أفواههم، اعتقادا منهم بأن دفنهم بين المساكن يغنيهم عن القربان ويهيئ لأرواحهم أن تشارك أهلها فيما يطعمونه ويشربونه في بيوتهم ، ولم تشارك مرمدة في هذه الخاصية في عصرها غير قرية العمري قرب حلوان ، أما بقية قري مصر التى تعاصرها فقد اعتاد أهلها علي دفن موتاهم خارج مساكنهم واهتموا بتوفير قرابينهم بما استطاعوا[٨].

وإذا تحدثنا عن حضارة نقادة الأولي لوجدنا في رسوم الفخار ما يمثل مناظر بشرية استطاع الفنان الأول أن يمثل فيها الصفات الجوهرية للإنسان في خطوط قليلة وتفاصيل موجزة ،ولكن ما يهمنا هو المناظر التي تمثلها هذه الرسومات ؛ فالتصوير عبارة عن رجال ونساء يرقصون ربما أنهم يؤدون طقوسا دينية حيث أن غالبا ما يرتكز تصوير النشاط البشري في هذه المناظر علي الرقص وطقوسه المختلفة، وقد يشترك فيه رجال ونساء مجتمعين أو فرادا[٩].

ونجد صورة علي إناء لشخصين ، في بادئ الأمر اعتقد أنهما رجلان يطعن أحدهما الآخر، بيد أنه يبدو أنهما يمثلان رجلاً وأمرأة يرقصان رقصة طقسية، وربما أن الخط المنكسر الذي يجمع بين ساقي كل منهما، يعبر عن حركة الساقين في الرقص (صورة 6). علي قدر آخر صورة لثمانية أشخاص في صف واحدا يؤلف خمسة منهم مجموعة واحدة وذلك بسبب حركات أذرعهم (صورة 7) [١٠].

أما في حضارة نقادة الثانية فنلاحظ أن الرسوم الإنسانية المصورة علي فخار هذه الفترة أكثرها لنساء يرقصن وأقلها لرجال، وتعتمد رسوم النساء الراقصات علي الرمز أكثر مما تعتمد علي الحركة، فنجد المرأة مصورة وهي ترفع يديها فوق رأسها ومرسومة رسما مختصراً، فالجزء العلوي عبارة عن مثلث مقلوب ينتهي بخصر نحيل جدا والجزء السفلي علي هيئة مثلث آخر

([٨])عبد العزيز صالح، الشرق الأدني القديم، الجزء الأول، مصر القديمة، القاهرة، 1990.
وأيضا: أحمد أمين سليم، الدهور الحجرية، القاهرة، 1997، ص 48.

([٩]) سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدني القديم، مصر والعراق، القاهرة، 1987، ص 19، 132–133.

([١٠]) محمد أنور شكري، الفن المصري القديم منذ أقدم عصوره حتي نهاية الدولة القديمة، القاهرة، 1965، ص 15–16.
وأيضا: عبد العزيز صالح، الفن المصري القديم، القاهرة، 1962، ص 274.

ينتهي بساقين مضمومتين،[١١] فدائما كان تصوير الرقص للمرأة هكذا، ترفع يديها فوق رأسها، وترقص منفردة أو ترقص على أصوات المصفقين التي يصفق لها رجال ونساء [١٢] ونجد علي إناء آخر صغير رسمت خطوط بسيطة سريعة تصور رجال يرقصون، تقع رؤوسهم عند قاعدة القدر وأقدامهم عند فوهتها[١٣] (صورة 8).

من هذا نستطيع أن نستنتج أن الإنسان حاول أن يعبر عن معتقداته التي حاولنا أن نتعرف عليها من مخلفاته البسيطة.مع تطور العصور وتطور الإنسان تتطور العقيدة ويتطور الفكر وبالتالي الطقوس والأماكن التي تؤدي فيها أو عليها. وما ينطبق علي مصر ينطبق علي غيرها من الحضارات.

لم يكن ظهور المذابح في مصر أو أي حضارة أخري معاصرة لها أو جاءت بعدها فجائية ولكنها كانت وليدة المعتقدات منذ أقدم الأزمنة والعصور – فمع وجود الإنسان في الطبيعة بدأ يحاول أن يتكيف ويتعامل مع عناصرها ونظرا لاستشعاره بوجود قوي كبري تهيمن علي هذه الطبيعة لم يستطيع أن يفسر مضمونها، لذلك حاول الإنسان إن يتقرب من هذه القوي الخفية للاستزادة من خبراتها أو لتجنب شرورها ومن هنا تبلورت لدي هذا الإنسان النزعة الدينية التي كانت الأساس في ظهور الفكر الديني. كان القربان الأقرب للفكر المادي لإنسان في ذلك العصر للتقرب من هذه القوي الآلهية، ولتحقيق هذا الهدف كان لابد من وجود مكان لمزاولة مثل هذا الطقس. جاءت فكرة المذبح حيث اختير مكان مرتفع ومتميز عن بقية الأماكن ثم بدأت تتطور الفكرة ويتطور الشكل وبدأت المذابح في الظهور بعدة أشكال وأنواع تتطور وتختلف من عصر لآخر ومن منطقة إلي أخرى وهكذا . التساؤل الذي يطرح ذاته الآن هو نوعية هذا المذبح، أو بمعني آخر ما هو المذبح؟ أنه الحجر أو ما شابهه من بناء صغير يقام لتراق من فوقه دماء الأضاحي والنذور خلال الاحتفال بالطقوس الدينية أو لتوضع فوقه القرابين، إنه عنصر أساسى في العبادة نجده عند جميع شعوب الحضارات القديمة، وعدم العثور عليه في بعض المواقع الأثرية الدينية غالبا ما يرجع إلي كونه قد شكل من مواد سريعة التلف كاللبن أو الخشب، ومع أن معظم المذابح التي نعثر عليها خلال عمليات البحث والتنقيب الأثري حجرية إلا أن البعض الآخر استخدم لأقامته مواد أخري حيث نعلم من خلال النصوص القديمة أن مذبح ديلوس Delos المسمي كيراتون Keraton صنع من قرون الحيوانات وذلك حسب

---

(١١) أرجع إلي: سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدني القديم، مصر والعراق، القاهرة، 1987، ص 132-133.

(١٢) عبد العزيز صالح، الفن المصري القديم، القاهرة، 1962، ص 276.

(١٣) محمد أنورشكرى، الفن المصري القديم، مرجع سابق، ص 280.